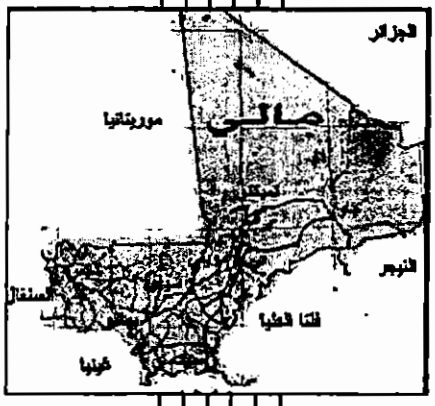

التنشئة الاجتماعية والمعتقدات في مالي

الفصل الثاني

مجتمع الدراسة

obeikan.com

obeikan.com

تمهيد: يتناول هذا الفصل مجتمع الدراسة وهو ينقسم إلى :

أولاً : مقدمة مختصرة عن المجتمع الأم دولة مالى الحديثة

ثانياً : تعريف قبائل البمبارا ويشمل نبذة تاريخية عن قبائل البمبارا و أصل اسم بمبارا والبمبارا كلغة

ثالثاً : مجتمع الدراسة الميدانى وهو مدينة سيكو (سيجو) وهو مكان إقامة الباحثة وخاصاً فى قبيلة سيكورو وسبب اختيار هذه المدينة نظرا لأهميتها الإسلامية عند البمبارا وبالإضافة إلى أنها مركز تجمع قبائل البمبارا . ونستعرض هنا الموقع والمناخ والحياة الاقتصادية والاجتماعية والمسكن والتعليم وفى ختام الفصل نوجز بعض المعالم السياحية فى القرية موضحة بالصور .

أولاً : مقدمة مختصرة عن دولة مالى الحديثة :

إن الحديث عن مالي يشد الباحث إلى العصر الوسيط حيث كانت إمبراطورية مالي شعلة نور وهاج في قلب إفريقيا حيث كانت حدود الإمبراطورية مترامية الأطراف وعاصمتها مركز إشعاع وزعماؤها شيوخ البحث والفكر في مختلف الفنون .

والعجيب أن الدولة التي أخذت اسم الإمبراطورية الفسيحة التي كانت تسيطر على منطقة الساحل دولة أخرى وعلى هذا استطاعت مالي الجديدة أن تحقق الكثير لتصبح جديرة برعاية التراث الضخم الذي خلفته جمهورية مالي في العصور الوسيطة .

يرجع التأثير الثقافي للإسلام في مالي إلى دخول الإسلام ذاته في منطقة السودان الغربي ، كما ارتبط نشر الثقافة العربية الإسلامية بانتشار التعاليم الدينية الإسلامية ، حيث كانت نتيجة ذلك أن اتجه الشعب الذي اعتنق الإسلام إلى التخلي عن بعض العادات والتقاليد التي لا تتمشى مع روح الإسلام وأخذ بدلا منها مبادئ الإسلام .

يري المؤرخون أن الاهتمام بالتعليم العربي الإسلامي يرجع إلى عام ١٢٤٠م بعد أن حلت إمبراطورية مالي مكان غانا حيث أصبحت عاصمتها الجديدة نياني(NIANI) مركزا رئيسيا للتعليم الإسلامي وقد ذكر ابن خلدون أخبار ملك التكرور ومدى اهتمامه بالتعليم واجتذاب العلماء إلى بلاده ، ومن أشهر العلماء الذين اصطحبهم السلطان

الفقيه أبو عبد الله الكوفي المهدي القدامي .

كما بنيت عدد من المدارس الملحقة بالمساجد خاصة في تمبكتو وحتى نياني العاصمة[1].

وقد شهد عهد آلاسكي محمد قمة التطور في التعليم العربي الإسلامي حتى لقب باسم «أمير المؤمنين» ، وفي عهده توثقت علاقات مالي بالمغرب والمشرق العربي خاصة وذلك في مجال الثقافة عامة والتعليم خاصة وأقيمت بعثات للعلماء المسلمين للتدريس والمحاضرة في مدن مملكة سونغاي، وشهدت الفترة ذاتها تزايداً في البعوث العلمية إلى الأزهر وتلمسان والقيروان بالإضافة إلى مدينة قامي، وكذلك نشطت حركة التأليف في المدن الجامعية التي شهدت تطورا في مجال التعليم .

وبعد انهيار مملكة سونغاي على يد المراكشيين تحولت المنطقة إلى دويلات أكثرها وثنية ، وقد كان لذلك أثره علي مكانة المدن الجامعية مثل تمبكتو وجني وغيرها ، إلا أنها بقيت محتفظة بكيانها الثقافي والاقتصادي والحكم الذاتي وذلك نظرا لعلاقات المصالح المتبادلة بين المدن الإسلامية الجامعية والقوى الوثنية الجديدة في المنطقة[2].

من مظاهر تمسك دولة مالي بالإسلام شدة الحرص على تعليم القرآن للصبية ، وقد شهد ابن بطوطة خلال رحلته إلى مالي ١٣٥٢ – ١٣٥٣ م كثيرا من هذه المظاهر ، منها مثلا أنهم يقيدون الأطفال والصبية بالحديد ، إلى أن يتموا حفظ القرآن الكريم .

كذلك شهد ابن بطوطة صلاة الجمعة في مالي ولأى مدى ازدحام المصلين ، وشهد بكثرة المساجد وانتشارها في جميع أنحاء دولة مالي ، ويذكر أن أشهر ملوك مالي كنكن موسى أنه كان يبني مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها[3].

فقد كان انتشار الإسلام في مالي وحرص ملوكها وعلمائها على التمسك بمظاهره

(١)إبراهيم نجاتي « الإسلام في دولة مالي :« الإسلام والمسلمون في إفريقيا قدرة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا ١٩٩٨ – ٣١٨ .

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Islam_in_Mali 22 - 12 - 2008 .

(٣) (إبراهيم علي طلخان ،دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، صـ ٥٤ .

فضلا عن الدعوة إليه أما عن طبيعة انتشار الإسلام في مالي وغيرها ودول السودان الأوسط والغربي وتفسير سرعة انتشاره وقبوله فإن من الملاحظ أن الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء ظفر بأقوى القبائل وأعظمها شأنا ، مما أدى إلى قيام الإمبراطوريات الإسلامية الكبرى في جميع بلاد السودان من المحيط الأطلسي غربا إلى مملكة سنار الإسلامية شرقا في حوض النيل ، ولقد جاء الإسلام إلى الزنوج وهم سادة في أوطانهم يتمتعون بكامل الحرية والسيادة والاستقلال والقوة ويمارسون حكوماتهم وينظمون شئونهم الخاصة ومجتمعاتهم ، فلم يكن لدعاة الإسلام من العرب والبربر أوادنى قسط من السيطرة وإن كان نفوذهم الروحي عظيما ومقبول عن رضا واقتناع[1].

كان هذا تأثير الإسلام على الثقافة المحلية في منطقة السودان الغربي بدأ هذا التأثير مع بداية دخول الإسلام إلى المنطقة ، إلا إنه ومع دخول الاستعمار، أول ما سعى إليه الاستعمار هو التصدي إلى الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي ، باعتباره عائقا أمام أطماع المستعمرين ثم إنهم أرادوا القضاء علي الإسلام لصالح المسيحية ، حتى يتمكنوا من خلالها من السيطرة على المنطقة ، سيطرة ثقافية إلى جانب السيطرة السياسية والاقتصادية . فلجأ المستعمرون إلى أساليب كثيرة مثل اضطهاد المسلمين ونشر التعليم الفرنسي وجعله أساساً وشرطاً للدخول إلى عالم الوظيفة والمكانة الرفيعة في المجتمع حتى يضطر الناس الإقبال على المدارس الفرنسية والانصراف عن التعليم الإسلامي وهذا ما حدث بالفعل في مالي إلى الآن حتى بعد الاستقلال[2]. وكان التعليم الإسلامي يتمثل في الكتاتيب ، ثم بدأت تظهر مدارس عربية على نظام المدارس الفرنسية ورغم محاولات الاستعمار إلا أنه لم يفلح في إثناء المواطنين عن الاهتمام بالإسلام وتعاليمه ، ونجد أن بعض الأسر اتجهت إلى الجمع بين النظامين التعليم الإسلامي والفرنسي حتى يضمنوا لأطفالهم مستقبلا وظيفيا في الإدارات التي أقامها المستعمر مع الحفاظ على قدر كبير من العلوم الإسلامية تعينهم في شئون دينهم[3].

أخيرا فأن الاستعمار رغم بطشه وإصراره وأدوات القمع المتوفرة لديه لم يستطع

(١)المرجع السابق ٥٩ .

(٢)إبراهيم نجاتي ، الإسلام في دولة مالي ، مرجع سابق ، ٣١٨ .

(3) http:en.wikipedia.

القضاء علي الإسلام والثقافة الإسلامية في مالي .

إن دولة مالي غنية بتراثها الثقافي. فقد قامت في أراضيها الحالية في الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين ثلاث دول إفريقية هي دولة غانا ودولة مالي الإسلامية ودولة صنغي. (أنظر الخريطة رقم ٣)

أما إمبراطورية مالي فقد ازدهرت في الفترة ما بين عام ١٢٤٠ و ١٥٠٠م. وفي القرن الرابع عشر الميلادي كانت مالي أغنى وأقوى دولة في غرب إفريقيا. وفي فترة حكم الملك مانسا موسى (١٣١٢ - ١٣٣٧م)، استقدم العديد من العلماء المسلمين إلى الدولة حتى صارت مدينة تمبكتو مركزًا مهمًا للدراسات الإسلامية . بعد ذلك قامت دولة صنغي وكانت عاصمتها مدينة گاو في مالي الحالية. وفي الفترة من عام ١٤٩٣م وحتى عام ١٥٢٨م، فترة حكم الملك أسكيا محمد، بلغت تمبكتو قمّة ازدهارها بوصفها أغنى وأهم مركز تعليمي إسلامي.ولكن بحلول عام ١٥٩١م غزا البلاد جماعة من بلاد المغرب واستولوا على دولة صنغي. ومن ثم توالى حكام الممالك الصغيرة في المنطقة.

حاولت فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر إقامة مستعمرة لها فيما يعرف حاليًا بمالي. ولكنها كانت تواجه بمقاومة عنيفة من قِبل السكان الأفارقة. وأخيرًا تمكنت من السيطرة على المنطقة عام ١٨٩٥م. وفي عام ١٩٠٤م تحول اسم المستعمرة إلى السودان الفرنسي وصارت جزءًا من إفريقيا الغربية الفرنسية. ثم منح السودان الفرنسي مرتبة الولاية في الاتحاد الفرنسي في عام ١٩٤٦م[١].

إن كلمة مالي تعني باللغة البمبارية « فرس البحر » وترمز التسمية إلى قوة الدولة ، وكانت إمبراطورية مالي جديرة بهذه التسمية ، وحظيت خلال بعض عصورها بمكانة سامية في التاريخ ، ويبدو أن هذا التاريخ كان يدوي في آذان الغرب فأراد الاستعمار أن يخفي هذه التسمية حتى لا يرتبط الأحفاد بالأجداد فيتخذوا من تراثهم دوافع وقوة تزلزل أقدام المستعمر . ومن أجل هذا أطلق الاستعمار سنة ١٩٠٤ على هذه المنطقة اسم السنغال العليا والنيجر وفي عام ١٩٢٠ أطلق الاستعمار عليها السودان الفرنسي ثم

(١)إبراهيم علي طرخان – دولة مالي الإسلامية – الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة – ١٩٧٣ صـ ١٦٩.

أصبحت إقليما من أقاليم إفريقيا العربية الفرنسية . إلا أن التسمية القديمة كانت في أعماق الشعب إلى أن استعادوها وأطلق عليها مالي كما هي الآن . ومنذ استقلال مالي اتجهت اتجاها واضحا لخدمة القضايا التي يجلبها عليها تاريخها ومكانتها في إفريقيا ، فهي تساند كل جهد للحرية الكاملة وتستجيب لكل اتجاه للوحدة الإفريقية.

إن عاصمة جمهورية مالي الآن هي باماكو وعقب الاستقلال اختير مودبيركينا رئيسا لها في يناير ١٩٦١ وهو من أسرة إسلامية عريقة إحدى فروع قبيلة بمبارا[١] .

ولقد استقل كل من الجمهورية السودانية والسنغال عن فرنسا في ١٩٦٠ تحت اسم اتحاد مالي ثم انسحب السنغال بعد أشهر قليلة من الاتحاد واختارت الجمهورية السودانية لنفسها اسم مالي . وكان العام ١٩٩١ نهاية لنظام الحكم الدكتاتوري عندما تولت شئون البلاد حكومة انتقالية إلى أن أجريت أول انتخابات رئاسية ديموقراطية في مالي في عام ١٩٩٢ ومنذ إعادة انتخاب الفا عمر كوناري رئيسا للجمهورية وفي عام ١٩٩٧ واصل الرئيس كوناري دفع عجلة الإصلاحات السياسية والاقتصادية ، كما استمر في حربه ضد الفساد وفي عام ١٩٩٩ أشار كوناري إلى أنه لن يرشح نفسه لفترة رئاسة ثالثة في الانتخابات الرئاسية المقبلة[٢] . أما فترة الدراسة فكان رئيس دولة مالي هو مادو توري .

حصلت مالي على الاستقلال عن فرنسا في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٠ لذا فإن العيد القومي الوطني في هذا اليوم وهو ٢٢ سبتمبر وهو عطلة رسمية في البلاد .

ولقد أقر الدستور المالي في ١٢ يناير ١٩٩٢ ، أما النظام القانوني فهو مستمد من النظام القانوني المدني الفرنسي والقانون العرفي ، وتجري مراجعة القوانين القضائية في المحكمة الدستورية والتي تأسست رسميا في ٩/ ٣/ ١٩٩٤ . أما عن حق الاقتراع فهو مكفول لمن يبلغ الحادية والعشرين من الذكور والإناث[٣] .

---

(١)أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – معهد الدراسات والبحوث الأفريقية – الطبعة ٣ – سنة ١٩٨٧ صـ ٥٥٥ – ٥٥٦.

(2) http://www.mngatel.com/mokatel/dtae/Mali / 7-8-2008

(3) www.dvd4arab.com/showthre? T=834238 12-7- 2008

تشغل دولة مالي الركن الشمالي من وسط غرب إفريقيا وتتوسط بين سبع دول إفريقية وهي كالآتي : من الشمال الجزائر ، ومن الشرق النيجر ، ومن الجنوب الشرقي بوركينا فاسو ، ومن الجنوب كوت دي فوار ، ومن الجنوب الغربي غينيا كوناكري والغرب كل من السنغال وموريتانيا (خريطة٤).

تعداد السكان حوالي ثلاثة عشر مليون نسمة تقريبا [1]. مُعظم السكان في مالي من الأفارقة الأصليين ويكوّن الفولاني وأقاربهم التكرور أكبر مجموعة سكانية في مالي. أما المجموعة الثانية من حيث الحجم فهم الماندينجو. وينقسمون إلى ثلاث مجموعات ثانوية هي: البمبارا والمالنكيون والسوننكي.كذلك تضم المجموعات السكانية الكبرى في مالي الدوجُن والصنغي والفولنا. وتشكل العناصر البيضاء خمسة في المئة من مجموع السكان وهم من العرب والأوروبيين والفرنسيين، خاصة المغاربة، والطوارق.

يعيش ثلاثة وسبعون في المئة من سكان مالي في مناطق ريفية ، في حين يسكن المدن سبعة وعشرون في المئة من السكان فقط . ونجد أن معظم السكان الأصليين يقطنون في قرى صغيرة في الجزء الجنوبي من البلاد، ويعتمدون في معاشهم على الزراعة كما يعملون في المزارع الريفية بالأجر. ويكفي الفرد منهم زراعة ما يحتاجه لغذاء أسرته. أما بالنسبة لمحاصيلهم الغذائية فهي المنيهوت والذرة الشامية والدخن والأرز والذرة الرفيعة واليام. ولكن معظم المزارعين في مالي لا يستطيعون شراء الآلات الزراعية الحديثة، لذلك فهم يعتمدون في زراعتهم على الأدوات والأساليب اليدوية. كما أنهم يسكنون في منازل صغيرة تُبنى من الطين وأغصان الأشجار.

تؤدي المرأة دورًا مهمًا في الإنتاج الزراعي في مالي، حيث تساعد في بذر الحبوب وفي الحصاد بجانب رعي الماشية. وقد أعدت الحكومة برامج حديثة لتدريب النساء العاملات، ولكنَّ قليلاً منهن اللائي يستفدن من هذه البرامج نظرًا للأعباء الكثيرة ومسئولية الأسرة التى تشغل معظم أوقات المرأة .

تعتبر دولة مالي إحدى دول غرب إفريقيا المدارية الجافة والحبيسة وتمثل المركز الثاني بعد دول غرب إفريقيا بعد دولة النيجر من حيث المساحة والمركز السابع بالنسبة

(1) www.omanss.com/book/datd/datd1/172.htm

لدول القارة الإفريقية ككل[1]. مناخ مالي مناخ قاري لبعده عن المسطحات المائية والبحرية وبالتالي يمكن وصف مناخ مالي

في أربعة عناصر أساسية :

(١) الحرارة العالية صيفا .

(٢) موسم واحد لهطول الأمطار .

(٣) موسم واحد للجفاف .

(٤) رياح سائدة (هارمتان) .

تعد جمهورية مالي من أفقر دول العالم ، تصل نسبة الأراضي الصحراوية و شبه الصحراوية إلى ٦٥ ٪ من إجمالي مساحتها وينحصر النشاط الاقتصادي في البلاد إلى حد كبير في المنطقة النهرية التي تروى من مياه نهر النيجر ، يمثل البدو نحو ١٠ ٪ من إجمالي السكان ويصل نحو ٨٠ ٪ من السكان في الأنشطة الزراعية وصيد الأسماك[2].

تتمثل أهم المحاصيل الزراعية في الدخن والأرز والذرة والفول السوداني كما يزرع قصب السكر والتبغ والشاي ، وتمثل مالي المركز الثاني في إفريقيا من حيث إنتاج القطن ، وتربي الماشية لتلبية احتياجات الأسواق الداخلية وللتصدير . كما يعتبر صيد الأسماك من أنهار النيجر وباني والسنغال أحد مصادر الدخل

ولديها قطاع صناعي صغير يرتكز على تجهيز الأغذية ، وتمثل الزراعة ٣٦ ٪ من الناتج المحلي الأصلي وتمثل الصناعة ٢٧٪ و٣٧٪ خدمات ، وهذا حسب إحصائيات ٢٠٠٣ . وتعتبر صناعة النسيج والمواد الغذائية والمنتجات الجلدية من أهم النشاطات الصناعية بالبلاد.

أما اعتماد مالي الاقتصادي أساسا فهو علي الزراعة ، حيث توجد منطقة زراعية هائلة في جنوب البلاد يرويها نهر النيجر ونهر باني ونهر السنغال وفي الشمال توجد الصحراء

(1)htt://www-mnqatel.com/p.6 op – cit

(2)http:// encyclopedia.freedictionary.com /Bambara + language (27-7-2008)

الفسيحة ويرتبط اقتصادها بهاتين الظاهرتين ، ففي المنطقة الزراعية تنمو الحاصلات التي ذكرنا سابقا .

ويعد الأرز المحصول الرئيسي للاستهلاك المحلي ، فالزراعة هي المصدر الرئيسي لاقتصاد مالي ويشتغل بها حوالي ٦٠ ٪ من السكان ، وتنتج البلاد كل حاجاتها الغذائية ، ولا يوجد فائض كبير تحاول تصديره للخارج .

أما المناجم فأهمها الذهب والملح ، وللذهب والملح تاريخ طويل في هذه المنطقة ، وتعد مدينة تمبكتو مركزا تجاريا للملح والذهب . وهناك آثار تدل علي وجود الحديد الخام والمنجنيز والماس والبترول وقد بدأ العثور على بعضها ولكن بقدر غير تجاري حتى الآن .

ويرتبط بالمعادن موضوع الصناعة فليس في مالي صناعات ثقيلة لعدم وجود المواد الخام بكميات تسمح بالتصنيع ولذلك تتجه الصناعة إلى المنتجات المحلية كصناعة الزيوت والجلود والصابون والأدوات المنزلية[١] . وتواجه مالي العديد من المشكلات الاقتصادية، إذ يَعتمد القطر على الزراعة في حين أن خُمس أراضيه فقط تعتبر أرضًا خصبة وصالحة للإنتاج الزراعي. لذلك تعمل الدولة للتقليل من قيمة الزراعة من خلال خفض أسعار السلع الزراعية. كما يواجه الإنتاج الزراعي بمخاطر تَذَبْذُب الأمطار التي قد تصل إلى ما دون المتوسط، هذا بجانب أن المرعى الطبيعي قد ينحسر كثيرًا في بعض الأحيان. ولقد تعرضت الحياة النباتية في إقليم السهل في فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين إلى سنوات جفاف أدت إلى تدمير مساحات واسعة من الغطاء النباتي وإلى موت ملايين الأبقار والأغنام والمعز. كما أدى تدني أسعار القطن وزيادة أسعار البترول في السوق العالمية إلى شدة تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد[٢] .

الثروة الطبيعية :

من أهم موارد الثروة الطبيعية في جمهورية مالي الذهب والفوسفات والكاملين (صلصال أبيض نقي عادة يستخدم في صناعة الخزف الصيني) والملح والحجر

(١)أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .ط٣– معهد الدراسات والبحوث الأفريقية -١٩٧٨ ص ص ٥٦١ – ٥٦٢.

(2) http:// marefa .com op-cit

الجيري واليورانيوم والطاقة المائية .

اكتشف في أراضي مالي خامات البوكاسيت والحديد والمنجنيز والقصدير والنحاس ولكنها لم تستغل بعد .

استخدام الأراضي الزراعية :

- أرض زراعية ٢ ٪.
- مراع دائمة ٢٥ ٪.
- غابات واحراج٦ ٪ .
- استخدامات أخرى ٦٧ ٪ طبقا لتقديرات ١٩٩٣ .
- الأراضي المروية ٧٨٠ كم٢ طبقا لتقديرات ١٩٩٣ .

الأخطار الطبيعية : تعاني جمهورية مالي مواسم الحرارة الشديدة والريح المحمل بالأتربة الذي يغطي سماء البلاد في مواسم الجفاف ويسمي هارماتان harmattun ومواسم الجفاف المتكررة .

أما المشكلات البيئية : فهي تعاني من إزالة الغابات والتصحر وتآكل التربة وندرة موارد المياه الطبيعية العذبة والتعدي علي الحيوانات البرية النادرة[١] .

يبلغ طول الطرق في مالي ١٨.٠٠٠ كم منها ١٠٪ فقط معبدة أضافة إلى نهر النيجر الذي يصلح مجراة للملاحة داخل أراضي مالي .وهناك خط سكة حديدية يربط باماكو مع داكار في السنغال كما تملك مالي خطوط طيران قومية تعمل داخل القطر وخارجة للأقطار الإفريقية وأوروبا . وفي مجال الاتصالات هناك صحيفتان يوميتان للدولة بجانب محطة واحدة للبث الاداعي[٢] .

إجمالي الصادرات (مليون دولار أمريكي) : ٣٢٢ عام ٢٠٠٤ .

(1)htt://www.mnqatel.com / mokatel / data / Behoth / Dwal Modn 18Mali / Mokatel – 7 – 8 – 2008)

(2)http:// www. Marefa.com مرجع سابق

إجمالي الواردات (مليون دولار أمريكي) : ١٨٠٨ عام ٢٠٠٤ .

الصادرات الرئيسية : القطن – الفول السوداني – الحبوب – الماشية .

الواردات الرئيسية : المكائن ومعدات النقل – مواد البناء – النفط – المنسوجات .

الشركات التجاريون الرئيسيون : بلجيكا – إيطاليا – ألمانيا – الولايات المتحدة – الصين – فرنسا [١] .

أما التعليم من المشاكل التي تواجهها مالي أن معظم السكان فيها أميون ونحو ٦٥٪ من الراشدين لا يعرفون القراءة والكتابة في حين أن ٢٧٪ فقط من الأطفال يلتحقون بالمدارس وهناك العديد من المدارس الثانوية فى مالي ولكن كثيراً من الطلاب يفضلون الحصول علي درجات التعليم العالي من أقطار مثل فرنسا ومصر والسنغال [٢] .

وأما عن صورة التعليم الإسلامي في مالي فإن الشيخ عبد العزيز نيباري رئيس اتحاد المدارس الإسلامية في مالي يذكر أن في جمهورية مالي ثلاثمائة مدرسة إسلامية ، ابتدائية وإعدادية وثانوية ، يدرس فيها مئة وخمسون ألف طالب ويعمل فيها أربعمائة مدرس .

ومن المشاكل التي يواجهها التعليم نقص الكتب والمناهج مشيرا إلى أن اتحاد المدارس الإسلامية تأسس عام ١٩٨٥م لتنسيق التعاون بين هذه المدارس ويعمل على توحيد المناهج وتنظيم وتطوير هذه المدارس والتعاون مع الحكومة المالية والمناهج والكتب الدراسية لمدارس مالي الإسلامية تأتي من عدة بلدان إسلامية.

وقد اعتمد التعليم في بدايته علي الكتاتيب والزوايا وخلاوى تحفيظ القرآن الكريم ، واستمر على هذه الحال قرنا من الزمن ، وعرف نظام التعليم الإسلامي الحديث طريقه إلى العقول مع بدايات القرن العشرين مبتدئا بمدينتي (كاي) و (سيجو) حيث افتتحت فيهما بعض المدارس الإسلامية على يد بعض المثقفين الحدثين من المسلمين حيث تلا ذلك قدوم مجموعة من المعلمين من الأزهر ساهموا في إقامة بعض المدارس وإدخال المناهج الأزهرية فيها ، وأقبل الناس عليها وتأثروا بمنهجها في التعليم ، وكان

(١)www.dvd4arad.com/showthreadphp?T=834238

(٢)http:// marefa .com ibid

نتيجة ذلك أن ظهر نمط جديد من المدارس يركز على تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وتنظيم حلقات الوعظ والإرشاد .

وفي السبعينات الميلادية اتسع نطاق تعليم اللغة الفرنسية في المدارس الحكومية نظرا لمبدأ العلمانية الذي تقوم عليه الدولة واعتمادها تلك اللغة لغة رسمية للتداول كما ساهمت تلك الفترة في الاهتمام بتعليم العلوم التطبيقية مثل الكيمياء والفيزياء والرياضيات .

وجاءت دراسة العلوم التطبيقية رغم أهميتها على حساب تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، لكن تلك المشكلة تم التغلب عليها بمزيد من الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية بفضل عودة الكثير من الطلبة الماليين الذين تخرجوا من الجامعات والمعاهد العربية ، حيث استطاعوا أن يلائموا بين التعليم الديني بصفته أساسا في تكوين هوية المجتمع المالي وبين التعليم التقني باعتباره أساسا للتقدم وهكذا أصبح خريج المدارس الإسلامية اليوم مكوناً تكويناً ملماً بكلا الجانبين .

وحرصا على هذا التطوير لسير التعليم الإسلامي أنشئ الاتحاد الوطني للمدارس العربية والإسلامية[1] **الديانة** : يدين ٩٥ ٪ من سكان مالي بالدين الإسلامى ، ورغم أن الغالبية العظمى من السكان مسلمون إلا إنه يوجد العديد من الثقافات التقليدية في ممارسة الدين ، وأيضا يستخدمون الفن التقليدي لخدمة الدين حيث إنهم يستخدمون بعض الحيوانات للإلهام مثل الفهد و الغزال و الزرافة و الخنزير و الأسد و وأيضا بعض الأشجار مثل أشجار الصمغ . كما أنهم يستخدمون الأقنعة واحتفالات التشي وارا قبل رمي البذور في الأرض للزراعة ولحصول البركة في المحصول(صورة ٥) ، كما أنهم يؤدون نفس الاحتفالات قبل جني المحصول للحصول على البركة أيضا في إيجاد محصول وفير. كما يستخدمون الأقنعة في المسارح لنقل العادات والتقاليد إلى الشباب كنوع من الحفاظ علي التقاليد (صورة ٦) .

علاقة مصر بمالي[2]:

بالنسبة إلى مصر هناك العلاقات التجارية والثقافية والصداقة التقليدية بين مصر

(١)http : // www.daralbachir.com/vb/sowthread.php?t=266kum4 –10 –2008

(٢)علي طرخان صـ ٦٨.

ومالي وقد توطدت هذه الصداقة ودعمت بصفة خاصة منذ حج السلطان كنكن موسي ١٣٢٤م زمن السلطان محمد بن قلاوون.

ولكن علاقة مصر ببلاد غربي إفريقية القديمة ترجع إلى ما قبل الميلاد ببضعة قرون حتى أن كثير من النباتات والحيوانات والصناعات وصل من مصر إلى جميع بلاد غربي إفريقيا بما فيه مالي .

إن أول الحضارات أتت من مصر إلى جميع بلاد إفريقيا السوداء جنوبي الصحراء الكبرى منها بناء القوارب واستعمال اللين في البناء وهو مرحلة متقدمة والأسلحة الحديدية من دروع ورماح وبلط وقسي « أن قبائل التيهو أو التدا Tibu/ ted هي التي أدخلت الصناعات الحديدية إلى إفريقيا الزنجية نقلا عن مصر »[١].

هذه الصلة مع مصر ترجع إلى أقدم العصور وزادت منذ العصر الإسلامي وخاصة أن مصر كانت من بين المنابع التي أتي منها الإسلام إلى غربي إفريقيا .

بالإضافة إلى أنها في طريق الحج وكانت الأراضي المقدسة الإسلامية تحت نفوذ سلاطين مصر وكانت مصر مركز الخلافة الإسلامية . ومن ملوك مالي المعروفين الذين مروا بمصر خلال حجهم : يرمندانه ومنسا ولي ين ماري جاطه الأول وساكورة ثم كنكن موسي ومن بعده سليمان وغيره[٢].

من أبرز الدلائل الحية الباقية إلى الآن تلك المعالم التي مازالت في القاهرة وتؤكد الصلات القوية التي كانت بين مصر وبلاد غربي إفريقيا وخاصة مالي منها حي « بولاق الدكرور » المحرفة عن التكرور ونسبة إلى أحد صلحاء التكرور[٣] الذين دفنوا في مصر .

بالإضافة إلى تخصيص رواق للتكاررة من أروقة الأزهر شاهد حي علي مدي مالقية مسلمو غربي إفريقيا وطلاب العلم من ترحيب بجانب إنشاء مدرسة ابن رشيق في فسطاط مصروهي المدرسة التي أنشأها حجاج التكاررة علي نفقتهم الخاصة لتدريس

(1)Johnston H.H. : A history of the colonization of Africa by Allien Rales Camber 1913 ، P. 20

(٢)إبراهيم علي طرخان – دولة مالي الإسلامية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٣ صـ١٦٩.

(٣)كلمة تكرور يقصد بها كل من جاء من غربي إفريقيا .

الفقه المالكي وللإقامة فيها عند مرورهم بمصر .

هذه شواهد تدل علي مدي قوة الرابطة بين مصر وغربي إفريقيا المسلمة وبما فيه مالي.

وأيضا من قوة الرابطة بين مصر ومالي ، كانت الأزياء في مالي الغالب في أكثر بلادها ملابس مصرية وهي لا تتوفر إلا لذوي اليسار . أن أهل مالي عامة لباسهم عمائم بحنك مثل العرب وقماشهم أبيض من ثياب القطن ويلبس الفقهاء عمامة علي نسق العمامة الشرقية مع ترك عزبة تدلي علي الظهر .

هذا كان حديثنا عن الدولة الأم وهي جمهورية مالي الإسلامية وننتقل الآن إلى الحديث عن قبائل البمبارا .

ثانياً: من هم البمبارا :

البمبارا هم أهم شعب من شعوب الماندنجو أو الماندى ، وهم منتشرون بين المحيط الأطلسي غربا إلى منحنى النيجر شرقا ، ويمتد جنوبا إلى قرب خط العرض التاسع ، وقد ظهر في هذا الإقليم السودان الغربي أو الفرنسي ، وظهرت وحدات سياسية أخري مثل جمهورية السنغال ومالي وغمبيا وغنيا وبها بعض القبائل التي تنتمي إلى شعب الماندنجو ، والدول التي يتمثل بها الماندنجو أكثر من غيرها هي جمهورية مالي .

ويشتمل الماندنجو على عدة قبائل تحمل أسماء مختلفة مثل ديولا وكاستكي وجالتكي وبمبارا وسوننكى ومانكي

ويوصف الماندنجو شكلا بأنه طويل نحيل تقاطيعه تقربه من الشكل القوقازي وغزير شعر اللحية إذا قورن بسائر الزنوج والبشرة خفيفة السمرة[1] .

يمثل البمباريون الجماعة الاثنية الأكثر أهمية فى مالى وهم منتشرون فى كثير من المناطق غير مالى منها بوركينا فاسو وغينيا وموريتانيا وساحل العاج .

الاسم : هناك العديد من الجدل الذي مازال مستمرا حول الدلالة التي يشير إليها

(1)http : // www.princetonel .com / groups / bamana . htm 21-8-2008 .

الاسم ، حيث يقال الاسم Bamana يعني هؤلاء الذين يرفضون من أوامر الإله ذلك لأن هؤلاء القوم كانوا لا يقبلون سيادة من أحد عليهم وهي مشتقة من كلمة لدى الماندي هي Bam وتعني (يرفض) و ana (الإله) كما أن بعض الناس من هؤلاء ال Bamana في المقابل يقوموا بترجمة ذلك الاسم بأنه يعني« عدم قبول رئيس أو سيد » كما أنه لايوجد أي من الدلالات أو الإشارات تشير إلى أصل ونشأة ذلك الاسم ولكن يبدو أن الـ Bambara هذه ترجمة فرنسية غير دقيقة لكلمة Bamana[1] .

كما أنه يطلق على البامبارا أسماء كثيرة ، فهم البامانا والبامبارا والبمبرة كل هذه الأسماء تعني البمبارا .

ووفقاً للأسطورة فإن اسم بان- مانا الذى أصبح معرفاً بمصطلح بمبارا أطلق على أولئك الذين تخلوا عن دولتهم الأصلية واسولو (جنوب باماكو) فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى رغبة فى التخلص من وصاية المالينكيين على أسيادهم . نرى من ذلك أن أسم عرقهم يدل على رفضهم للخضوع على من فازوا عليهم فى الحرب .

ويبدوا أنه من خلال هذه الأسطورة استطاع ديلافوس القول بأن البمبريين من أصول تورو ، وهى منطقة شرقى واسلو والواقعة بين أوديني (ساحل العاج) وسيكاسو (مالى) .

مهما كان الأمر ، فإن التقاليد تدل على أنهم من أصول الماندى ، وهى تلك المنطقة التى كانت تشمل أقصى الجنوب – الغربى لجمهورية مالى والشمال – الشرقى لغينيا والشمال الغربى لساحل العاج ، وكادوا أن يصلوا إلى نيجر عبر الموقع الحالى لإقليم سيغو بعد ما اتجهوا تدريجيا إلى جهة الجنوب الشرقى والشمال الشرقى .

ولكن لم يستطيع البمبارا تأسيس كيان سياسي مستقل إلا فى القرن الرابع عشر الميلادى بزعامة عشيرة كولیبالیین ، حيث أسسوا فى سيغو إمارة قوية تضم بجانب البمبارا كل من نجا من الغزو السوسى وجميع الشعوب القاطنة فى هذه المنطقة وتحديداً جماعة بوزو القادمين من الشمال فى القرن الثامن الميلادى .

وبما أنه قدمت لأصل كلمة بان – مانا ، فإن التفسير وفقاً لمشتقات الكلمة يعتبر أكثر

(1)en.Wikipedia.org/wiki/Bambara:people 4uk.23-7-2008

انتشاراً .

ويقول المؤيدون لهذة النظرية بأن الكلمة مشتقة من مصطلح بامـا أو بامبـا أى تمسـاح ، ومعناها ناس التماسيح ، كما يطلق مصطلح ناس فرس النهر عـلى المـالينكيين ويطلـق عليهم ناس الثعبان الكبير على جماعة المينيانكيين ...

يبدو هذا التفسير غير دقيق تاريخياً إذا قورن بذلك التفسير الذى يشير إلى أن البمبارا قد تمردوا ضد أسيادهم وهاجروا مناطقهم الأصلية ، حيث يبدوا أكثر واقعية[1] .

نبذة تاريخية :

على إثر تدهور إمبراطورية مالي القديمة نهض فـرع مـن فـروع المانـدنجو في القـرن السابع عشر المـيلادي وهـو فـرع البمبـارة ، ونجـح هـذا الفـرع في تأسـيس مملكتـين متنافستين علي أنقاض مالي وصنغي الزائلتين .

إن قبائل البمبارة هي أهم مجموعة من مجموعات الشعوب المتكلمة بلغة المانـد ، انتشرت في وديان النيجر وفرعه الأعلى باني منذ القرن الثالـث عشـر المـيلادي وكانـت جزءا من إمبراطورية مالي .

بعد الهزائم المتلاحقة التي لقيتها مالي على أيدي إمبراطورية صنغي نجح البمبارة في تكوين دولة حول مدينة سيجو على النيجر الأعلى وصارت هذه الدولة إمبراطورية قويـة في القرن السابع عشر.

وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي كانت السيادة في السودان الغربي موزعة بـين أربع دول قوية : دولة التكارزة في مؤنا في الغرب ويليهـا مـن الشـرق دولتـا البمبـارا في سيجو وكأرتا ثم الولايتين في ماسنة في حوض نهر النيجر وفي بلاد الهوسا على أن أعظـم هذه الدول وأقواها هما دولتا البمبارا .

تبعا للأساطير المحلية كان البمبارا بزعامة أخوين هما :

برامانجولو Bramangolo ونيانجولو Niangolo قيلت حـولهم أسـاطير كثيـرة و

(1)Bokar N،Diaye،(1970) ، groupe ethnique au MALI، Bamako: Editions populaires .P 92

كان هذا يقترن بمؤسس الدول .

الثابت تاريخيا أن سلاله الأخ الأول وهو برامانجولو نجحوا في تأسيس دوله في سيجو وخضعت هذه الدولة فترة من الزمن لسيادة بشوات تنبكت ودفعت لهم الجزية ، وفي ١٦٦٠ – ١٧١٠م اتسعت دولة سيجو وتخلصت من سيادة تنبكتو امتدت دولة سيجو في تلك الفترة في وديان النيجر من كنجابا من الماندنجو جنوبا إلى تنبكت وإلي الصحراء شمالا ونجح كولوبالي في طرد مانسا مالي من العاصمة سنه ١٧٦٠م وجاءت نهاية دولة سيجو ١٨٦١م على يد الحاج عمر سلطان التكاررة ثم تولي ملوك البمبارا إلى أن جاء هذه السلالة السلطان كانديان Kandian بعد هذه الأحداث زالت دولتا البمبارة في سيجو وكارتا ثم ظل الماندنجو منقسمين إلى أن أتخذ ساموري التوري لقب إمام وتصدى لكفاح الاستعمار الفرنسي الذي ظهر على الساحة ، ولم يتقيد بشروط المعاهدة التى عقدها معه الفرنسيين . ولقد استمر الكفاح ضد الفرنسيين من ١٨٨٢–١٨٩٨م ثم هرب ساموري التوري إلى أعالي نهر الفولتا وكان يقود جيش ساموري أبنه سارانتي ، ويؤرخ لهذا النصر عام ١٨٩٧م وأخيرا تمكن الفرنسيون من القبض عليهم في ٢٩ سبتمبر ١٨٩٨م في مدينة جويلومو Guelemu في أعالي ساحل العاج ونفوه إلى جابون حيث مات ١٩٠٠م وجرد الفرنسيين قواته من السلاح وبعد هذا لم نسمع عن غارات الماندنجو (ساموري التوري : هو جد أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينية الحديثة[1] .

البمبارة الآن :

هم من أكبر المجموعات العرقية في مالي ، ويوجدون في بلاد كثيرة ، ولكن أكثرهم متمركز في مالي ويشكلون حوالي ثلث سكان مالي.

تتمركز الكتلة الكبيرة من البمباريين فى منطقة تمتد من الوسط الشرقى إلى غرب مالى وتتوزع بين إقليم سيغو ونيونو (دلتا الوسطى لنهر النيجر) وبيلديوغو(دائرة كولوكانى فى شمال بماكو) ذات الحدود مع منطقة الساحل ، ومن كارتا إلى حدود دائرة كيتا ، ومن جنوب نيورو إلى شمال دوائر كوليكورو ، وديولا وبانمبا وبوغى ويانفليلا

(١)إبراهيم علي طلخان – دولة مالي الإسلامية – دراسات في التاريخ القومي الإفريقي – الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة – سنة ١٩٧٣ ص ص ١٧١ – ١٧٥.

وكولونديبا وسيكاسو .

ويلاحظ بأن البمبريين مختلطون مع عناصر من جماعات أثنية أخرى مختلفة فى هذه المناطق ولكنهم يسيطرون (البمبارا) على هؤلاء أحيانا بدرجة أن كادوا باستيعابهم جميعاً .

لم يسبق للشعب البمبارى أن أسس كيانا سياسيا قط . ويتكون البمبارا من عدد من العشائر التى تنحدر من نفس الأصول الحقيقية أو الأسطورية . وأن المناطق التى كانوا يسيطرون عليها هى التى تمثل عاملاً فى التمييز بينهم ، أى تحديد اعضائهم . حيث نقول سيغو – كاوو (أهل سيجو) للذين يقطنون سيغو ، بيليدوغو – كاوو(أهل بيليدوغو)، وللذين فى بيلديوغو كارتا- كاوو (أهل كارتا) للذين يعيشون فى كارتا ويدعون أيضاً ماساسى أى المنحدرين من عرق ماسا ... الخ .

يصل عدد البمبريون ومن يشابههم فى العادات والتقاليد بالفعل إلى حوالى ١٦٦٥٠٠٠ نسمة ويمثلون ٣٥،٥٠٪ تقريباً من الشعب المالى[١] .

مناطق تواجدهم :

تتمركز البمبارا بشكل اساسى فى المناطق الممتدة من دوائر سيغو ، بيونو ، ديولا ، كوليكورو ، بانمبا وجزء من دائرة بماكو ومن كولوكانى ، جنوب دائرة نارا ، شمال دائرة كيتا وجنوب دائرة نيورو ، دائرة بوغونى ، وينفوليلا وكولانديبا فى الجنوب من دائرة سيكاسو ، وبعض جزر فى دوائر ماسينا فى الشمال ، وإقليم كاى وبيليمانى فى الغرب وكوتيالا فى الشرق .

ويجدون أنفسهم محاصرين فى هذه المناطق ببماكو ، وكوليكانى ، وفى الجنوب لهم حدود مع دائرة نارا ، وتحدهم السينغال والمناطق التى يسيطر عليها الفلاة وسيراكولى شمالا ، وف الجنوب من قبل جماعة المالينكى ، ومن ناحية الشرق من قبل جماعات مينياكا وبوبو ، ومن الغرب جماعة ساركولى وخاسوكى التابعين لمنطقة ديافونو (دائرة ديليمانى).

(1)90 - Groupe ethnique au MALI . Ipid . Pp 88

ويمكن القول بأن البمباريين يسيطرون على وادى النيجر من بماكو متوجها إلى سيغو حيث يوجد تمركزهم الساسى .وبجانب هذه التجمعات للبمبارا فإننا نجد البمبارا فى دوائر مدينة جينى وموبتى وباندیغارا ولكنهم أقلية فى هذه المناطق ذات الأغلبية الفولانية . تتميز المناطق التى يسيطر عليها البمبارا بأشجار وأعشاب كثيرة فى الجنوب ورملية فى الشمال[1] .

اللغـــــــة[2]: يوجد في مالي حوالي اثنين وثلاثين لغة ولهجة ، ولكن الفرنسية هي اللغة الرئيسية والرسمية ، والبمبارا هي اللغة المحلية لجميع فئات الشعب فهي تحتل مكانة كبيرة في الحياة الثقافية ، وتوجد اللغة العربية أيضا وهي لغة المثقفين بالإضافة إلى أن هناك مدارس تدرس باللغة العربية بالإضافة إلى أنها لغة الدين الإسلامي[3] .

وتعد اللغة البمبارية من اللغات التي يتحدث بها شعب مالي بما يعادل ٦ مليون شخص (وبما في ذلك أيضا من يتحدثون اللغة الثانية ، وتسمي تلك اللغة « بلباماننكان» Bamanankan . وهناك اختلاف بسيط بين اللغة البمبارية والديولا ، فالثانية هي لغة للتفاهم والتحدث بين القليل من الأشخاص في بعض البلدان مثل بوركينا فاسو ، كوديفوار ، وجامبيا ، بينما يتحدث اللغة البمبارية مبدئيا المجموعة العرقية لبامبرا والتي تعادل ٢.٧٠٠.٠٠ شخص ، كما أن الديولا تمثل لغة دخيلة على شعب مالي.

وتنتمي اللغة البمبارية لمجموعات لغات متقاربة تسمي لغات الماندينج (Manding) أي اللغات الماندنيغيه (المنتشرة في أفريقيا الغربية) والتي بدورها تنتمي لمجموعة أكبر وهي المانديَ Mande ، ولها لهجتان أو نبرتان ، كما أن بها سبع حروف متحركة (u، o، I، ɛ،e، a) وقد كتبت بهذه اللغة مبكراً بالحرف العربى حتى اجبر الجميع على الكتابة بالحرف اللاتينى . وقد ظهرت الكتابة أثناء الاحتلال الفرنسي ، حيث أصبحت حروف الهجاء ذات أهمية قصوى وخاصة في المناطق الريفية[4] .

(1)P91 . Ibid . Groupe ethnique au MALI

(2)http://www.bethany .com/profiles p.code 4/2406.htm / 7-2008

(3)http: // www.princetorol .com/groups/the people of Mali 21 – 8 – 2008

(4)The people of Mali ، Ibid

ومازال الأدب المكتوب في دور النمو وذلك نظرا لسيطرة اللغة الفرنسية سيطرة تامة في التعليم ، إلا أن هناك ثروة من الأدب الشفهي والذي عادة ما يتناول قصص الملوك والأبطال ، كما يتناول بعض الأغاني القديمة التي عادة تحكي عن مملكة مالي القديمة .

« وبامبرا هي اللغة القومية لمالي ، وكذلك الأكثر انتشارا وفهما »

وهناك بعض اللهجات مثل سومونو ، سيجو ، بامبرا ، بامانتكان (سان – بيليدوجو – جانادوجو – واصولو وسيكاسو) .

* وبدأت كتابة اللغة البمبارية مع الاستعمار الفرنسي بالأبجدية اللاينية وكانت تستخدم الحروف المتحركة مثل الـ a ،e(سابقا é) ، والـ i ، o (سابقا ó وكذلك الـ u للدلالة على تناسق الأنغام . والدوغراف (حرفين يمثلان صوتا واحدا) السابق ny تحول ليكون (ń) (بالسنغال) ، وكذلك ذلك الدوغراف الغامض (ng) والذي يمثل في الإنجليزية صوتان هما «ng» كما في «tinger» و «n» كما في «singer» تحول ليصبح «n» طبقا لما أشارت به اتفاقيات باماكو الهجاء بشأن ذلك الصوت .

وقد وضع مخطوط كتابة الـ Niko سلوماناكانتي Solomana Kante عام ١٩٤٩ وجعلها نظاما كتابيا للغات المانديغيه بغرب إفريقيا ، وتعني كلمة «Niko» = I say أو « أتحدث » في جميع اللغات المانديغيه . (انظر ملحق رقم ٤).

وقد قام كانتي بوضع تلك اللغة ردا علي ما رآه في المعتقدات القديمة والتي ترى الشعب الأفريقي « شعبا بلا حضارة أو ثقافة » وبالتالي بلا نظام كتابي إفريقي للغة. وقد تم استخدام اللغة الكتابية Niko أولا بكانكان ، وغينيا ، وانتشرت بعد ذلك إلى الدول الأخرى التي تتحدث المانديغيه بغرب إفريقيا ومازال ذلك المخطوط يستخدم للدلالة علي اللغة البمبارية برغم الانتشار الأكبر للأبجدية اللاتينية .

وكذلك توجد بعض الصحف باللغة البمبارية[1] .

إن اللغة التي يتكلمونها هي لغة البمبرة وتكتب بطريق انكو Niko ، لغة بمبرة يتكلم

(١)Republique Du Mali N'ko'Mouvement Culturel pour le Developpement – Bamako du 2003 جولبي بالفولانية معناها الأمير

بها كثيرون وهم موزعون في بلاد كثيرة وهي تسعة دول وهي : مالي ، غينيا (كونكري) ، جامبيا ، غينيا (بيساو) ، بوركينا فاسو ، سيراليون ، ساحل العاج ، ليبيريا ، جنوب السنغال .

كما أن اللغة العامية في مالي هي لغة البمبرة بالإضافة إلى أنهم يتكلمون في مالي الفرنسية والعربية ولديهم أيضا ثلاث مدارس التدريس فيها باللغة العربية .

ثالثاً: مدينة سيجو (سيقو) Segou

ارتأت الباحثة أن تكون مدينة سيقو هي مجتمع الدراسة الميدانى ، حيث يتجمع بها أكبر عدد من البمبارا لذلك كانت هى موطن إقامة الباحثة أثناء الدراسة وبالتحديد فى قرية سيكورو.

يعد شعب سيجو من أقدم الشعوب في إفريقيا الغربية ، في الماضي كانت سيجو عاصمة مملكة بمبارا القديمة والتي تأسست عام ١٨٥٢م بفضل كالاديان كوليبالي ، تعد سيجو في الوقت الحاضر العاصمة الإسلامية بالإضافة إلى المنطقة الرابعة في مالي من الناحية الاقتصادية .

ولمدينة سيقو مكانة إسلامية كبيرة في دولة مالي وفي نظر أهل مالي خاصة أثناء كفاح مالي أمام الاستعمار الفرنسي ، ويكفي أن نعرف إنه بسقوط سيقو في يد الاحتلال الفرنسي سقط أكبر حصن إسلامي في غرب إفريقيا .

وإلى اليوم تعتبر سيقو مدينة إسلامية وفيها أكبر التجمعات الإسلامية ومراكز علمية وحركات تيجانية وفي الماضي كان الناس يرون في مدينة سيقو صورة مصغرة لمدينة رسول الله ﷺ يوم كان الجيش العمري مرابطا فيها بعد دحر الوثنية ورؤساء الكفر والشرك عام ١٨٩٠ م ، وإلى اليوم يلقب الزعيم الديني الإسلامي هناك بلقب أمير المؤمنين ، وهو من آل عمر القوني وآخر من لقب به هو الشيخ الموافي بن صنغي بن أحمد جولبي بن عمر تال المجاهد الكبير وقد توفي الموافي في سيقو يوم ٢٩/ ٤/ ١٩٩١م ونفي والده إلى تمبكتو ولم يتول الإمارة ، وبعد فترة سمحت له السلطات الفرنسية بالرجوع إلى قوتا حيث مسقط رأس أجداده واتخذ سيقو موطنا له وهو في طريق العودة إلى قوتا وسمح له بالبقاء في سيقو ولكن بشروط منها أن لا يعلن الجهاد ضد فرنسا .

أما أحمد الجولبي بن عمر تال فإنه خلف أباه على سيقو في حين كان الوالد يواصل زحفه إلى الشرق وبعد وفاة الحاج عمر عين ابنه أحمد أميرا على جميع الإمبراطوريات الإسلامية في بلاد السودان، واتخذ سيقو عاصمة لخلافته إلى عام ١٨٩٠م حيث لم يستطع الوقوف أمام الجيش الفرنسي الزاحف ذات المعدات المتطورة فلما كانت الهزيمة وشيكة فر أحمد تال إلى كانو في نيجيريا حيث أخواله هناك .

بالرغم من هذه المكانة الإسلامية لسيقو إلا أن اتخذتها الحركة البروتستانتية مكانا لعقد مؤتمرها الأول في جمهورية مالي وعلى غفلة من أهلها وهذا يوضح لنا مدى نشاط البعثات التبشيرية والحركات التنصيرية في مالي[١] .

تقع سيجو في وسط مالي، ويحدها من الجنوب سيكاسو، ومن الشرق جيني وتنمبكتو ، ومن الجنوب الشرقي بوركينا فاسو ، ومن الغرب كونيكورو . انظر خريطة (٣)

يبلغ عدد سكانها سنة ٢٠٠١م (١.٨٨٧.٠٠٠) نسمة ، ومساحتها ٦٤.٩٤٧ كم ، وهذه المساحة تمثل ٥ ٪ من المساحة الكلية لمالي ، وتنقسم المحافظة إلى ٧ دوائر وتضم ١١٨ بلدية ومحلية و٢١٦٦ قرية ويضم إقليم سيجو غابة كاربتيس وتمتد إلى مساحة أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة (٤٤٠٤) قدم وتمثل المدينة المرتفعة ويقع إقليم سيجو على مسافة ٢٠٠ كم شمال شرق باماكو على الطريق الوعر حيث أن سيجو تمثل الاستراحة التي تتميز بالجو المعتدل وتمثل طريق المعبر أو الترنزيت الذي يؤدي إلى العديد من المواقع السياحية في البلد[٢] .

إن مدينة سيجو تكشف عن السحر والجمال الذي يستحق منه التوقف فيها من أجل التأمل

جغرافيا سيجو:

تقع سيجو فى الإقليم السوداني حيث أن في مالي ثلاث مناطق طبيعية مختلفة ومنطقة ثانوية شبه غابة صغيرة جدا .

---

(١)الشيخ شيرتو عمر تيام « الإسلام في الدولة العلمانية » مالي ، ط١ ، جمعية عباد الرحمن – باماكو ١٩٩٣ ص ص ـ ٣٨ ، ٤٣.

(٢)المرجع السابق ، ص ٤٤.

المناطق هي :

- إقليم صحراوي - إقليم ساحلي
- إقليم سوداني - إقليم شبه غابة

سيجو من الإقليم السوداني وهي تحتل جنوب البلاد تماما ويمثل منطقة انتقالية ما بين السافانا الفقيرة ذات الحشائش القصيرة والسافانا الغنية ذات الحشائش الطويلة ، حيث تزداد غطاءاتها النباتية كثافة كلما اتجهنا نحو الجنوب كما أن مطرها السنوي يزداد غزارة بالتدريج نحو الجنوب ، متوسط مطرها سنويا يتراوح ما بين ٦٠٠ إلى ١٥٠٠ ملمم . يمتاز الإقليم السوداني بأنه منطقة زراعية من الدرجة الأولى لخصوبة أراضيها ووفرة مياهها وكثرة مستنقعاتها وشبكة مجاريها مما أعطتها خصائص جاذبة للسكان

ويمكن تقسيم هذا الإقليم من البلاد إلى جزئين :

أ- القسم الشمالي . ب- القسم الجنوبي

إن ما يهمنا الحديث عنه القسم الشمالي ، وهو يضم (كاي ، سيقو « سيجو » ، سان) وتتميز هذه المنطقة بغطاءات بنائية متوسطة في الكثافة ، وأشجارها أقل تباعدا من المنطقة الساحلية ، وأهم أشجارها (باوبات - بلانزاكيارنيا) وأهم سكانها (ساسونكي - فلاه أو تكلور - بامانا - يويو - يوزو) .

يتراوح المطر في الإقليم السوداني ما بين ٦٠٠ - ١٥٠٠ سنويا ، حيث يبدأ التساقط في شهر يونيو وينتهي في شهر أكتوبر وتعتبر أكثر مناطق مالي غزارة وتمتاز بالأمطار الشديدة والرياح القوية والعواصف الرعدية والرطوبة العالية حيث يظل جو المنطقة مشبعا بالمياه حتى بعد انقطاع الأمطار بمدة قليلة .

الحياة الاقتصادية والسياسية :

يعتبر البمبارا مجتمع زراعي ، المحصول الرئيسي لديهم الدخن) الذرة الرفيعة ، ويزرعون الأرز والتبغ والذرة والقطن والعديد من الخضراوات ، وتوجد لديهم مزارع خاصة ولديهم أبقار وخيول وماعز وأغنام . وتهتم البمبارا بالزراعة في موسم قصير وهو موسم المطر ، ويقوم بعضهم باصطياد الحيوانات مثل النعام والخنزير والظبي .

الزراعة من عمل الرجال والنساء علي السواء . وكذلك الأطفال من سن ١٢ – ١٤ سنة يعملون على مساعدة الأسرة في العمل [١].

المناخ والنشاط الاقتصادى لسيكورو :

لا بد لنا أن نؤكد على أن جميع الأهالي في بمبارا يقومون بالزراعة وأن هذه القبائل قبائل زراعية في المقام الأول ويعتمدون على الزراعة كمصدر أساسي للحياة الاقتصادية .

هذا ويبدأ الرجال يومهم في الصباح الباكر بالذهاب إلى الحقل ، وهذا في موسم الزراعة الذي يستمر ٤ شهور في السنة فقط « يبدأ التساقط في شهر يونيو وينتهي في شهر أكتوبر ، وهذه المنطقة من أكثر مناطق مالي غزارة وتمتاز بالأمطار الشديدة والرياح القوية والعواصف الرعدية والرطوبة العالية حيث تظل المنطقة مشبعة بالمياه حتى بعد انقطاع الأمطار فترة طويلة.

فنجد جميع أفراد الأسرة من الرجال والنساء والأطفال في الحقول للزراعة ، يذهب رب الأسرة ومعه الأولاد في سن العمل من سن ٦ :٨ ، سنوات حيث يبدأ الأطفال في هذه السن الخروج مع الأب لمساعدته ويتعلم بعض الأعمال التي يتقنها الأب .

يقوم الرجال بالزراعة أما الأولاد فأنهم يقومون برعي الأغنام تحت أشراف أحد الشباب ورعايته ، أما رعي الأبقار فهم يقومون باستئجار رجل من الفولاني لرعي الأبقار لأنهم لا يرعون الأبقار بأنفسهم .

وفي وقت الظهيرة يأتي الطعام من المنزل ترسله الزوجة أو تأتي به بنفسها، وفي أغلب الأحيان تكون الزوجة مع الزوج في الحقل للزراعة وترسل الجدة أو الابنة الطعام لهما من المنزل ، وبعد تناول الطعام يأخذون راحة ويستأنفون العمل مرة أخرى إلى وقت الغروب وهو وقت العودة إلى المنزل ويتناولون العشاء .

وفي المساء يجلس الرجال في ساحة مخصصة لذلك وتكون في وسط المنازل حيث يجتمع فيها الرجال للحديث والأطفال للعب وينتهي اليوم على ذلك ، وهكذا باقي الأيام طوال فترة الزراعة (٤ شهور) فكل العمل وكل الجهد وكل الحديث

(١)مرجع سابق en.wikipedia .

والتفكير في الزراعة فقط وهي زراعة الحبوب منها الدخن = ساينو Sanye بلغة البمبارا والشعير = Nyo وحبوب الأرز والفول السوداني ، كل الزراعة مواد غذائية يتم جمعها وقت الحصاد ويتم تخزين المحصول بما يكفي احتياجات الأسرة لمدة عام .وتعتبر مهام الزراعة من المهام الرئيسية التى تقوم بها المرأة وإن كان الرجل يشترك معها فى بعض هذه المهام .

بعد انتهاء الشهور الأربعة تبدأ المرأة في زراعة الحديقة ، لكل فرد حديقة تبعد قليلا عن المنزل، كما تقوم بزراعة المحاصيل الخاصة باحتياجات المنزل. كما أن مسئولية الرجل هي زراعة المحصول الأساسي وهو الحبوب أما باقي الوجبة الغذائية واحتياجاتها من طماطم و فلفل و بصل و أي شيء آخر فهو مسئولية الزوجة وعلى نفقتها أيضا.

هكذا نجد الأسرة في البمبارا كلها تعمل بعضها مع بعض ، وتخرج المرأة مع زوجها للزراعة ، وإذا مرض أو عجز عن العمل نجد أن جميع أفراد الأسرة تعمل معها في الزراعة. ومن الملاحظ أن مرض الزوج أو وفاة الزوج ليست مشكلة مثل مرض الزوجة أو وفاتها فإن هذا يمثل مشكلة كبيرة للأسرة في حالة عدم مقدرة الزوجة عن العمل سواء بالمرض أو الوفاة .

ولا توجد ملكية فردية عند البمبارا أي أن الأرض الزراعية والماشية والأغنام فهي ملك للأسرة كلها ملك للرجال وليس النساء ، والمرأة لا تملك ، وإن كانت ترث زوجها في حالة الوفاة ويمكن لها أن تزرع الأرض وتنتفع بها ولكنها لا تملكها وليس لها حرية التصرف فيها بالبيع . من الممكن أن تتنازل عنها هبة لأحد ابنائها الذكور .

إذن الزراعة هي الأساس وفي المقام الأول ولكن بالإضافة إلى الزراعة توجد أعمال أخرى مثل صيد الحيوانات حيث يمارس الرجال الصيد في الأوقات التي لا يوجد بها زراعة في فصول الجفاف ، أما في موسم الزراعة يتم الزراعة أولا وبعدها الصيد إذا رغب في ذلك . يخرج الرجال إلى الغابات للصيد ويرجعون بما اصطادوه طعاما للأسرة كلها .

- ومن المراكز الصناعية والبمبارية في سيقو مركز كومانكس للمنسوجات التابع لشركة مالي للمنسوجات

- كما توجد أيضا الصناعات الغذائية ممثلة في شركات تكرير السكر (دوجا يوجو وسيري بالا) ويوجد أربع شركات للأرز هي كولوجر تومر و مولودو و دوجولبري و وبيوجو .

الصناعات التقليدية :

تشتهر مدينة سيجو بالأعمال اليدوية ، منها الغزل على النول والرسم على القماش وعمل الماسكات وعمل التماثيل ونحت الخشب والمصنوعات الجلدية ، وهذه الأعمال تتم في صور فنية جميلة تصور الحياة الاجتماعية وهذه الأعمال يشتغل بها الكبار والصغار والشباب فهي مورد رزق وتشغيل أيدي عاملة وتعتبر سوقا رائجاً يخدم السائح .

الحياة الاجتماعية :

التنظيم الأسرى :

تتكون الوحدة الاجتماعية عند البمبارا فى الأساس من العائلة الممتدة .

وهى عبارة عن نوع من مجموعات متقاربة من ناحية الأب وتسمى بلون – داه ويقصد بها كل العشائر المنحدرة من نفس الجد . ويتمتع أعضاء بولون – داه بنفس الحقوق بالرغم من أنهم ينقسمون إلى بيوت متناثرة ، ويمثل كل بيت أسرة مصغرة . وكثيرا ما تنقسم المنازل بواسطة جدران تعطى شكل رابط أساسي للخلية .

يتزعم بولون – داه أب العائلة ، والذى يعد أكبر إخوته من نفس الجيل ، اما غورو فيتزعمها رب البيت المختص .

يخضع جميع أبناء بولون – داه لأب العائلة الروحى الذى يتولى المسئولية الأخلاقية والمادية لجميع أعضاء العائلة . ويتكون مجلس العائلة من جميع غواتيغى للمجتمعات العائلية . ويتم توسيعه أحيانا حسب الظروف إلى حضور جميع كولوسى – تيغى أى من يلبسون النطلون .

يتولى غوانتيغى مسئولية أعضاء عائلته ، والتى تتقلص غالباً إلى رب البيت ، وزوجاته

وأولاده . ويمكن أن تنضم إليه والدة رب البيت ، وخاصة إذا كان يتيماً وأن إخوته رجالا ونساءً من نفس الأم غير متزوجين .

الهدف الأساسي من هذا العمل المشترك هو من اجل زراعة الأرض . ويتم تنفيذ هذا العمل تحت رعاية رئيس جمعية العائلة ، أى أن أب العائلة هو الذى يدير تراث العائلة[١] .

ولذا هو المسيطر على أموال المجتمع : الراضى ، الحيوانات ، مهر النساء ، الوراثة ، وكل ما يتم حصاده من العمل الجماعى المشترك من قبل أعضاء العائلة . لكن فى المقابل ، يجب علية ضمان حياة هؤلاء من خلال : الغذاء ، الملابس ، إخراج المهر للرجال الذين يتزوجون ، الضرائب .... إلخ .

الشخصية الثانية فى دائرة بولون – داه هى الزوجة الأولى للأب . ويتلخص دورها فى إدارة الشئون الداخلية للمجتمع العائلى . وهى المسئولة عن الحيوانات المنزلية . وتتولى إدارة المحاصيل القابلة للبيع ، الألبان والدواجن ، ومن ثم تقدم المبالغ المالية لأب العائلة . وتقوم بتوزيع العمل بين بقية زوجات الأب وتراقبها . وتقوم بدور الحكم بينهن مستخدمة فى ذلك سلطاتها بكل اخلاص بينهن وبأدلة مؤكدة . وترعى الأطفال الصغار فى الوقت الذى تكون أمهاتهم مشغولة[٢] .

مجتمع البمبارا مجتمع أبوي .. مثل الـ Dogon ، الفولاني ، وبعض المجموعات الأخرى من المنطقة

والتي تحدد العلاقة مع الأب أو مع الأخ كما يكتسب الطفل اسم عشيرته الأبوية .

وتحتوى كل قرية في المتوسط نحو ستمائة من الأفراد ، ولها رئيسها ، وتعد العائلة الممتدة أساس نظام النسب عند البامبارا فى مالى .

وتتحدد الأدوار داخل كل قرية من سن السادسة. ولكل عائلة مساحة من الأرض ، توفر لهم فرص العمل فيها وتوفر لهم الغذاء ، من الدخن ، الأرز ، الذرة البيضاء ، الفول

(١)ميدانى .

(2)Groupe ethnique au MALI . Ipid . P102

السوداني والبطيخ وغيرها من المحاصيل ، ويعمل كل أفراد العائلة معا طوال الأسبوع باستثناء يوم الاثنين اليوم الرئيسى لسوق القرية .

يشيدون بالترابط الاجتماعي الأسري حيث أن عميد الأسرة أي الأكبر سنا يجمع الأبناء والأحفاد في منزل واحد لذا فمن الممكن أن يصل عدد أفراد أسرة واحدة يمكثون في منزل واحد إلى خمسين فردا ، لأن الأبناء يتزوجون ويمكثون في نفس منزل الأسرة والزوجة والأبناء والبنات من ممتلكات الرجل .

الزواج :

الزواج في الغالب من الأقارب أنساب أو أقارب دم ويتجه الشاب أولا إلى أقارب الأب وإذا لم يجد العروس يتجه إلى أقارب الأم ، والشاب لم يقدم علي الزواج من زوجة لمجرد الرغبة فيها حبا أو غرائزيا بل سيفعل ذلك من أجل تنفيذ مهمة محددة قد فرضتها عليه التقاليد ، وقد تختلف العادات من مجموعة إلى أخرى تقليديا ، كأن يتم الزواج في الغالب لإرضاء وإسعاد الآلهة والعشيرة ، ومن المتعارف عليه تقليديا أن الزوج يبتعد عن زوجته أثناء الرضاعة [1] .

سن الزواج في الفتيات من ١٣ – ١٤ سنة في قرى بمبارا وارتفع في باماكوا عاصمة مالي إلى ١٨ سنة أما سن الفتيان فهو من ١٨ سنة .

المرأة برغم دورها الكبير في مساعدة الرجل في الزراعة وتربية الأبناء حيث يقع علي عاتق الأم مسئولية تنشئة الأطفال وغرس معتقدات وعادات وتقاليد الأسرة بالإضافة إلى أعباء المنزل إلا أن الرجل ينظر إليها على أنها من العبيد (قيل هذا باللفظ) وتعامل معاملة قاسية وجافة ، فإذا خرجت الفتاة من منزل عائلتها للزواج لاترجع إلى هذا المنزل إلا للزيارة فقط .ذكرت الباحثة فيما سبق تعدد الزوجات وقد عدد الأبناء لرجل واحد إلى ٢٥ طفل من أكثر من زوجة بالطبع .

وكما وضحت سابقا فإنه لا يتم الزواج عن حب أو اختيار سواء من جانب الفتى أو

(1)Hampate Ba . (1972) ،aspects African civilization (person،culture ،religion) ،paries translatd by Susan B.Hunt، Chapter 4 . (http://pender.ee.upenn.edu/rabii/toes/BaAspects CH4htmI)

الفتاة ، إنما يتم بناء على اختيار ورغبة الأب أو كبير عائلة الفتى المرشح للزواج ، كما أن العروسة هنا لا تعرف من ستتزوج إلا يوم الزواج ، ولا يؤخذ رأيها أو رأي والدتها والعريس أيضا أول زوجة له هي من اختيار الأب أما الزوجة الثانية فمن اختياره أو اختيار الأم .

وتعد القرابة هى المحدد الرئيسى لاختيار الزوجة فالزواج المفضل يكون من بين الأقارب ، علاوة على أن هناك محددات أخرى للاختيار تتمثل فى صحة العروس وسنها فكلما كانت العروس صغيرة السن ، صحيحة البدن ويكون تاريخ عائلتها يشهد بذلك ، ويكون أقاربها من النساء اللائي سبق لهن الزواج لديه من أبناء كثيرة.

يتقدم الفتى للفتاة مع كبير عائلته سواء الأب أو الجد أو العم ، الأكبر سنا هو الذي يذهب مع الشاب وبالمثل بالنسبة للفتاة الذي يتولى أمر الحديث والاتفاق مع أهل العريس الأكبر سنا في عائلة العروس الجد الأب ، العم ، ليس بالضرورة الأب.

بعد الموافقة يقدم الشبكة (هدية الزواج) يطلق عليها Minakolo sonko بلغة البمبارا ويقدم المهر المتفق عليه وبعض الثياب والنعال . المهر يقدم للرجال من أهل العروسة أما الشبكة فهي تقدم للعروس والثياب والنعال تقدمه نساء أهل العريس لنساء أهل العروس . ويتم هذا في بيت الزوجة (العروسة) ويتفق علي ميعاد عقد القران [1].

يتم عقد القران بطريقتين الطريقة الإسلامية والطريقة التقليدية ، ويجب أن تتم الطريقتان بحيث تلو الواحدة الأخرى، ومن الممكن إتمامهما في يوم واحد أو تفصل بينهم بعض أيام أو شهر أو شهور . وفى حالة إتمام الطريقتين في يوم واحد يتم الاحتفال من أول النهار إلى آخره ، بأن يكون أول اليوم إسلاميا والنصف الثاني من اليوم تقليديا ، ولابد من الاتفاق على ميعاد الزواج بالطريقتين وتحديد الأيام عند الاتفاق على الزواج من البداية .

* أما الطريقة الإسلامية ففيها يستدعي الإمام وهو يقوم مقام المأذون ، ويقوم بعقد القران بالطريقة الإسلامية المعروفة ، ويتم دفع المهر من العريس إلى والد العروس أو

(١)ميدانى .

ما ينوب عنها فهو عقد إسلامي شرعي ويأخذ العريس العزوس إلى منزل الزوجية .

* و أما الاحتفال بالعادات والتقاليد ويطلق علية السونكو Sonko ، وهو عبارة عن احتفال سامي يأتي في المرتبة الأولى حيث تأتي النساء إلى منزل أهل العروس بحضور العروس ويجتمعون ويجلسون في شبه دائرة وتجلس الجدة في وسط الدائرة علي مقعد يقال له Kouroun كورون وتجلس العروس على مقعد آخر ويضعون أرجلهم في الماء Sinko وفي أثناء ذلك يتم وعظ العروسة وإعطاء النصائح لها مع الغناء ثم يقومون بتوصيل العروس إلى منزل زوجها مرة أخرى.

وتختلف ملابس العروس وفقاً للمناسبات المختلفة الحفلة التقليدية يكون غطاء للرأس أسود وغطاء النصف الأسفل من الجسم أبيض وتستمر بهذا الزي أسبوع تقابل به المهنئين بالزواج وحتى عند جلوسها مع عريسها في المنزل فتجلس بهذا الزي ، ولا يجوز للعروس الخروج من منزل زوجها إلا بعد أسبوع وإن خرجت تخرج بهذا الزي أيضا ، أما العريس يلبس رداءً أبيض مكون من قميص طويل وسروال ويستمر في ارتدائه أسبوعاً[1]

(وسيرد ذكر ذلك بالتفصيل حفل زفاف مدعماً بالصور)

من العادات والتقاليد أنه عند ميلاد الطفل يوضع في ماء حمام الطفل أول مرة زيت (شي تولو) بلغة البمبارا وهو زيت يؤخذ من شجرة معينة هذا الزيت له فوائد في اعتقادهم للصحة والجلد وخاصة للمولود .كما يستخدم هذا الزيت في علاج أمراض جلدية للكبار.صورة (٧)

وتلعب العلاقة بين أعضاء المجتمع دوراً هاماً في عملية التنشئة الاجتماعية حيث تعد سمة احترام الكبير من السمات الثقافية الذى يوليها مجتمع البمبارا اهتماما خاصاً بها حتى إذا مات أحد كبار المجتمع تمشي الأسرة على خطاه .

وتتمثل علامات احترام الكبير فى مراسم تناول الطعام حيث يتم عمل ثلاثة أماكن للطعام : الأولى للرجال والشباب والثانية للأطفال من الجنسين والثالثة للسيدات

(١)الدراسة الميدانية في مجتمع البحث في ٢٨ /٦/ ٢٠٠٩.

والآنسات ، في حضور الكبير لابد من الإمساك بمائدة الطعام بإبهام وسبابة اليد اليسرى وتناول الطعام باليد اليمنى ، ويظل ممسك المائدة بهذه الطريقة ولا يفلتها إلا بعد الانتهاء من تناول الطعام وانصراف الكبير.

وتنقسم الباامانا إلى طبقات على أساس المهنة ، ويحظر الزواج من خارج المجموعة ، وتعد طبقتا المزارعين والحرفيين من أهم الطبقات الاجتماعية عندهم .

وتنحدر أكبر مجموعة بين هؤلاء الباامانا(وهم الحدادون) من إمبراطورية Manding وتنفصل تلك المجموعة عن ذلك الأساس الزراعي للمجتمع . وهؤلاء الحدادون هم من أهم خبراء التكنولوجيا في ثقافة الباامانا حيث إنهم منذ عصور قديمة يكونون طبقة مستقلة ومنفصلة يطلق عليهم اسم nyamakalaw وهم المتعاملون مع الطاقة ، وتضم تلك المجموعة أيضا الأعمال الجلدية ، النساجين والشعراء وكذلك الحدادين . ويعتبر زواج الحدادين زواجا داخليا من داخل طبقة الحدادين ويحظر عليهم الزواج من الجماعات الأخرى وذلك لاتهامهم بأعمال السحر .

وعلى الرغم من أن طبقة الحدادين ينظر إليهم باحترام كبير في ذلك المجتمع فأننا مع ذلك نجد أن باقي أعضاء المجتمع يتجنبهم بشكل كبير وذلك بسبب القوى السحرية لهم ، ويقوم الرجال بالعمل على نحت الأخشاب والحديد للمزارعين ، بينما تعمل نساؤهم بأعمال الخزف ، بينما يظل الفتي الصغير جالسا أمام والده يراقبه ويشاهد ما يفعل خطوة بخطوة لكي يتعلم منه كل ما يخص تلك المهنة ويبدأ في عمل بعض الأعمال البسيطة حيث إنه يبدأ في العمل مع والده عندما يصل إلى سن السابعة أو الثمانية أعوام، حيث يقوم بأعمال حدادة بسيطة ، ثم نحت الأخشاب ونقش الجديد .

و يطلق علي هؤلاء الحدادين اسم numuw (Nuni في العصور القديمة) حيث أن Nyama هي قوة خارقة ينظرون إليها على أنها تستخدم القوة والطاقة لكي تدير الكون وتسيطر عليه كما أن هؤلاء الحدادين يعتقدون أنهم يرثون تلك القوى الخارقة عن أسلافهم ، وأنه عليهم أن يتعلموا كيفية استخدام تلك القوى والتعامل معها بشكل سليم والـ Nyama هذه ليست بالشيء الجيد أو الشيء السيئ الشرير ، حيث أن ذلك الاتجاه الذي تأخذه سواء كان خيراً أو شراً تعتمد على ذلك الشخص الذي يتعامل معها

ويكون عمل الحدادين في المقام الأول أعمال الحدادة للقرويين ، وهي الأدوات اللازمة للزراعة من السكاكين والزخارف وزينة الخيول ، والبنادق ، حيث إنه منذ إدخال الأسلحة النارية في القرن السادس عشر عن طريق المغرب فإن هؤلاء الحدادين أصبحوا ماهرين في صنع وإصلاح الأسلحة [1] .

مما سبق يتضح لنا أن الأسرة هي أهم جانب في حياة الشخص من البمبارا والعلاقات الأسرية هي المركزية في الحياة الاجتماعية والثقافية ، كما تعتبر النساء والأطفال والإناث من الممتلكات وللرجل حق ممارسة تعدد الزوجات وهي زيجات للمساعدة في تعزيز العلاقات بين القرى فالزواج مهم جدا عندهم ورغم أن الزواج أمر مكلف ، لكنهم يعتبرونه نوعا من الاستثمار ، والغرض الرئيسي هو الإنجاب والغرض من إنجاب الأطفال توفير العمالة للأسرة ويضمن مستقبل الأسرة في النسب . معظم النساء ينجبن في المتوسط ثمانية أطفال [2] .

المسكن :

تبنى المساكن على مساحة كبيرة من الأرض وهي مساكن واسعة وتبنى على الأرض مباشرةً بارتفاع مناسب وكل مسكن وحدة خاصة بالأسرة التي تسكن فيه وأغلب المساكن تبنى بالطوب اللبن أما الآن فمع التقدم أصبحوا يستخدمون الطوب الأسمنتي كما هو موضح في الصور ، ملحق الصور والخرائط صور رقم ٨،٩ .

يتكون المنزل من الداخل من عدد من الغرف متجاورة كل غرفة يسكنها ابن من الأبناء الذكور وزوجته وتوجد غرفة لكبير العائلة ومؤسسها وبجانبها غرف زوجاته مع أطفالها . يقسم المنزل إلى غرف متجاورة ، وفي آخر المنزل جزء منه غرفة تستخدم لإعداد الطعام وطحن الحبوب ، وفي وسط المنزل يترك الماعز والأغنام ، أما الماشية لها مكان مخصص بجوار المنزل ، أن وسط المنزل بدون سقف ، أما الغرف فسقفها في باماكو مصنوع من الصفيح ومقسم إلى مجرات لجمع مياه الأمطار أما في سيجو فهو على هيئة مثلث هرمي مصنوع من جريد النخل .

(1)htt:// www. Princontonol . com / groups / The Bamana of Mali 21-8-2008

(2)http : // www.bethany.com profiles / home 12-3-2008

بجوار كل منزل مخزن للحبوب على شكل اسطوانة كبيرة سقفها على شكل هرمي وبه باب صغير في وسط الأسطوانة شكل (١٠) يحتفظون فيه بمحصول العام . يقوم رب الأسرة ببيع جزء من المحصول ويحتفظ بالباقي لإطعام العائلة لمدة عام كامل .

قريب من كل منزل حقل خاص بالزوجة الأولى ثم تأتى الزوجة الثانية لمساعدتها هذا الحقل خاص بالزوجات يقمن فيه بالزراعة لإكمال وجبة الطعام . تزرع فيه السيدة ما تطلبه الأسرة لوجبة الطعام من خضار وخس وطماطم ، كل ما تحتاجه الزوجة تقوم بزراعته يساعدها فى هذا الحقل الأبناء من الذكور والإناث ، وفي وسط الحقل بئر من المياه ليقمن بري الزرع وهذا البئر يفتح وقت سقوط الأمطار لتجميع مياه الأمطار به . بعض الصور التى توضح حقول الزراعة الخاصة بالسيدات .انظر الملحق صور ١٠،١١،١٢،١٣ .

البولو: صورة (١٤) في كل قرية يوجد مكان مخصص لكل أهالي القرية يجتمع فيه الكبار لحل المشاكل أو الاتفاق على الزواج ، وهو مكان مغلق مثل المنزل ولكن مساحته أصغر من مساحة المنزل المتعارف عليها ، وهو مكان مفتوح في كل الأوقات لا تغلق الأبواب إلا عند الاجتماع ، ويكون الاجتماع قاصراً على الرجال وخاصة كبار السن.

الجالا : صورة (١٥) يترك في كل قرية مكان واسع كبير يتم اختياره على أساس وجود أقدم شجرة في القرية وتكون شجرة كبيرة تظلل المكان ويصنع تحت هذه الشجرة مايشبه المسطبة من جذوع الأشجار ومرتفع عن الأرض قليلا ويستخدم للجلوس علية ويستخدم أهل القرية هذا المكان (الجالا) في جلسات السمر للرجال والشباب في المساء ، أما الأطفال يلعبون في ارض فضاء بجوار الجالا ، في الجالا يتسامر الرجال فقط ويتبادلون أخبار القرية فقط أما المشاكل والمنازعات والاتفاقات تكون في البولو .

تقسيم البمبارا إلى فئات عمرية : Ton

يوجد بمجتمع البمبارا نظام التقسيم العمري فئات مختلفة وهو ما يعرف ب (Ton) ويسود هذا النظام من التقسيم لدي غالبية مجتمعات المانـدي ، إلا أنه يوجد بقوة في

تاريخ الباماناً حيث تقسم الجماعات طريق الجنس (ذكر وأنثى) وفقا لشعائر التكريس أو طقوس المرور أو حسب العمر حيث يتم التقسيم تبعا للفئات العمرية وخاصة في مرحلة الشباب قبل أن يتزوج الشاب أو حسب المهنة مثل الزراعة أو الصيد[1].

ينقسم المجتمع البمبارى إلى ثلاث طبقات رئيسية :

١- طيقة تون تيغى أى السياد فى المقدمة ، ويقصد بها النبلاء ، المنتمين للأسر الحاكمة وكل المنحدرين من أصول نبيلة .

٢- طبقة نياماكالا (الحرفيين) وتتشكل من نومو (الحدادين) ، لوهرو (حرفى الجلود) ، كولى (حرفى الأخشاب) ، غارنكى (صناع السرج) وديلى (الشعراء التقليديين) وأخيرا فيناه (الدينيين)

٣- وتتكون المرتبة الثالثة من ديون (العبيد) الذين يتفاوتون فى الدرجات أيضا بين من ولدوا فى أسرة السيد ولهم وضع خاص وأوائل العبيد من تجارة الرقيق[2].

التعليم :

يعد التعليم عند الباماناً تعليماً إلزامياً علي كل طفل أقل سناً من ١٥ سنة عليه الذهاب إلى المدرسة ، إلا أن أطفال المناطق الريفية إذا كانوا قادرين على الذهاب إلى المدرسة فأنهم في الغالب لا يستمرون في المدرسة طويلا نظرا لمطالب العمل في الزراعة ومساعدة الأهل لذا فإننا نجد أن سكان القرى أميون تماما.

ويعد سن سبع سنوات سن التحاق الطفل بالمدرسة الابتدائية ، وقبل هذا السن يمكث بالمنزل ويتعلم بالمحاكاة من الأم والكبار . فتتعلم الفتاة الأعمال الخاصة بالمنزل ، كما يتعلم الذكر جميع المهام الخاصة بالزراعة والصيد .

أما عن تعليم الإناث فليست له أهمية كبرى في مالي وباماكو العاصمة ، أما في بمبارا فليست له أهمية إطلاقا فلا يولي البمبارا اهتماماً لتعليم الإناث ، فالمرأة أولا وأخيراً للزواج إنجاب الأطفال ومساعدة الزوج في الزراعة ، أما في حالة نيل البنت قسطا من

(1) en.wikibedia مرجع سابق

(2)Groupe ethnique au MALI . Ipid. P 101

التعليم كما في باماكو العاصمة فإنها تتعلم إلى سن ١٥ سنة فقط وتنتظر الزواج إذا لم تكن تزوجت بالفعل .

كما تلتزم الأسرة بإرسال الطفل بعد التحاقه بالمدرسة الابتدائية في باماكو العاصمة إلى (سيكو) وهي محافظة في بمبارا لكي يتعلم لغة البمبارا حيث أهميتها لكل سكان مالي بالإضافة إلى أن سيكو من أكثر المحافظات (المدن) تتمسك بالعادات والتقاليد والديانات التقليدية بجانب الإسلام .

الديانة والمعتقدات الدينية :

الثقافة والتقاليد هي من أهم الأشياء ولا يوجد أهم منها عند البمبارا بالرغم من غلبة الديانة الإسلامية عليهم إلا أنه مازالت لديهم المعتقدات التقليدية ، فمازال لديهم عبادة الأسلاف مثلهم مثل القبائل الإفريقية فإن دخول الديانات السماوية الإسلامية أو المسيحية لا يلغي المعتقدات التقليدية الخاصة بالقارة الإفريقية عامة وقبائل البمبارا خاصة فهي من القبائل شديدة الحرص على التقاليد والعادات والثقافات القديمة والتمسك بها وبالمعتقدات التقليدية لديهم بالإضافة إلى عبادة الأسلاف لديهم السحر وكثير من الممارسات من المعتقدات التقليدية ولا يلغى الإسلام وحضورهم في المدارس القرآنية الدين التقليدي .

وسوف نسرد بالتفصيل في الجزء الخاص بالديانات التقليدية عند البمبارا وبعض المعتقدات الخاصة بهم قبل الإسلام وبعده .